بمناسبة احتفال جامعة الدول العربية بذكرى التأسيس

تكريم الأستاذ الكبير عبد العزيز بنعبد الله وجهوده في خدمة اللغة العربية

قدم المغرب ويقدم عبر فترات تاريخية طويلة، ثلة من المفكرين الأعلام الذين ساهموا ويساهمون في إغناء الثقافة العربية الإسلامية، في مجالات معرفية متعددة.

وقد برزت العديد من الأسماء في حقول كثيرة سواء تعلق الأمر بالعلوم الدقيقة أو العلوم الإنسانية أو مجالات تلتصق بالمباحث الإسلامية او غيرها. ومن أبرز أعلام المغرب المعاصرين الذين قدموا عطاءات وإضافات علمية رصينة، الأستاذ الكبير عبد العزيز بنعبد الله، الي يشهد له الكثير بالتبحر والدقة في البحث والمشاركة، وقد أسدى بأبحاثه العلمية القيمة على مدى فترة نيفت على نصف قرن من الزمن خدمات جليلة للثقافة الإسلامية، ولعل اجلها ما قدمه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله خدمة للغة القرآن الكريم، وما بذله من جهود وانجزه من ابحاث علمية ساهمت في تطوير وإخصاب لغة الضاد، وتجلى هذا الشأن يوم أسندت لهذا الأستاذ الكبير إدارة مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، الذي كان يتخذ من الرباط عاصمة المملكة المغربية، مقرا له.

هذه المؤسسة التي لا ينكر باحث في الثقافة العربية الإسلامية ما قامت به من خدمات جليلة - تحت ادارة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله - بما اخرجته من معاجم وكتب ودراسات، ناهيك عن الدور الفاعل لمجلة «اللسان العربي» التي كان يصدرها هذا المكتب، حافلة بالأصيل والجديد، وكل ذلك يشكل اليوم مصدرا ومرجعا لا غنى للباحث عنهما.

ويحق لجامعة الدول العربية - التي تحتفل هذه الأيام بذكرى تاسيسها - ان تفتخر بهذه المؤسسة (مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي) - التي تشكل هيئة سامية ذات بعد قومي إسلامي، نظرا لما حققته من سني الأعمال وجليل الآثار، خاصة ايام إدارتها من طرف العلامة عبد العزيز بنعبد الله، رغم العديد من العراقيل والعوائق التي كانت تنصب في طريق هذا المكتب منها ما سجله الأستاذ الحبيب الذويبي من تونس في مقالة بعنوان «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: جوائزها مشكوك فيها وميداليتها من ورق» حيث انتقد هذه المنظمة وقال عنها إنها «نجحت في تقليص نشاط مكتب تنسيق التعريب وظلت تضطهد مديره وتنقص من ميزانيته، بل إنها خفضت البند الخاص بنفقات المجلة ومعاجم المصطلحات لإنقاص عدد المطبوع منها وتقليص توزيعها، ولكن بعض الغيارى قدموا الى مدير المكتب عبد العزيز بنعبد الله تبرعات حتى يستطيع ان يطبع من مجلته ومعاجمه العدد الذي يكفي للمؤسسات العلمية التي تطلبها من جميع انحاء العالم، وظلت «المنظمة» تلاحق مدير المكتب حتى أحالته الى التقاعد وعينت بدلا منه خبيرا ليكون مديرا بالإنابة، وتخلصت من مفكر جاد آخر». بين ان الإيمان العميق للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بلغة القرآن وشغفه الكبير بالضاد، واقتناعه القاطع بأهمية الدور الذي يلعبه مكتب تنسيق التعريب سياسيا وثقافيا واجتماعيا، جعله يمضي قدما لتحقيق تلك الأهداف السامية التي خلقت المؤسسة من أجلها، ووفرت لها المملكة المغربية كل أسباب النجاح، وهو أمر اقتضى التنويه وطنيا وعربيا.

فقد كتب الأستاذ أنيس منصور في جريدة «الأهرام» بتاريخ 9 غشت 1976 منوها بعمل المكتب وبمجلته «اللسان العربي»، يقول: «الفرق بين ما يقوم به العلماء وما يقوم به الساسة في التوحيد بين الشعوب كالفرق بين سقوط شجرة وبين غرس شجرة، فسقوطها عنيف ولها دوي، ولكن غرسها هامس هادئ، وهذا ما يحاوله رجال المجامع اللغوية والعلمية. وأروع مثال لذلك، قاموس «اللسان العربي» الذي يصدره مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالمملكة المغربية.

إن هذا القاموس مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب.. وإنه لعمل عظيم.. وهذا عمل يمضي على مهل في داخل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية. إن هذا العمل وحده يغفر للجامعة العربية الكثير من تراخيها وتكدسها وتعثرها».

ونظرت الأيسيسكو الى جهود الاستاذ عبد العزيز بنعبدالله بإكبار، فشهد له مديرها الاستاذ الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري بالانجاز الكبير الذي تحقق تحت إدارته فقال:

«لقد انجز عبد العزيز بنعبد الله على رأس المكتب الدائم لتنسيق التعريب زهاء عشرين عاما أعمالا ثقافية ولغوية جليلة القدر تشهد له بالتفوق العالي في هذا الحقل من حقول الثقافة والمعرفة، حيث عمل على توسيع قاعدة انتشار اللغة العربية، وساهم في حركة التعريب المساهمة الموفورة التي يشهد بها الجميع عربا وأجانب. وانصرف طيلة هذه الفترة الى خدمة لغة الضاد خدمة تعلي من منزلته وتشرف اسمه في عالم الفكر والثقافة».

(انظر كتاب: ازدواجية الاصالة والتحديث: منشورات جمعية رباط الفتح، ط، 1995.)

وتحدث الاستاذ احمد زياد عن دور العلامة عبد العزيز بنعبد الله في مهمته كمدير لمكتب تنسيق التعريب - وقد تعارف الرجلان فترة من الزمن ليست بالقصيرة - فقال: «لقد حول مكتب التعريب يوم كان يديره الى قيادة عليا باشر منها عمليات للتعريب جمعت في ما بين الكمية والكيفية، ولم يتأخر هذا المكتب خلال توليه مسؤولية تسييره عن إصدار سلسلة من الموسوعات اثبت فيها وبالدليل القاطع صحة مقولة شاعر النيل حافظ ابراهيم المأثورة والتي قال فيها:

«وسعت كتاب الله لفظا وغاية
فكيف أضيق اليوم عن مستجدات»

(انظر: الاصالة والتحديث، مرجع سابق)

هكذا سجل المتتبعون للساحة الثقافية العربية داخل المغرب وخارجه ذلك المجهود الكبير والعمل الجاد الرصين الذي نهض به استاذ ضليع وهو يدير مؤسسة علمية عربية، يشهد ما صدر عنها من أعمال بحنكة مديرها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله، الذي حظي بتقدير كبير من جهات عربية عليا داخل الوطن العربي.

ذلك جانب واحد من جوانب عطاءات الاستاذ الكبير عبد العزيز بنعبد الله عرضناه بعجالة، تذكيرا بما أسداه هذا الرجل للغة العربية يوم أدار مؤسسة علمية كبرى يحق لجامعة الدول العربية ان تفتخر بمنجزاتها وهي تحتفل بذكرى التاسيس.

محمد احميدة
أستاذ جامعي - الرباط
المملكة المغربية

العلم

لسان حزب الاستقلال
تأسست في 11 شتنبر سنة 1946

المدير: عبد الجبار السحيمي السنة: 65 العدد : 22211 رئيس التحرير: عبد الله البقالي
الجمعة 24 من ربيع الأول 1433 الموافق 17 من فبراير 2012 / الايداع القانوني :03/1946 / ISSN 0851-0296

رحيل العلاّمة الكبير والصوفي المتبتل

الأستاذ عبد العزيز بنعبد اللّه

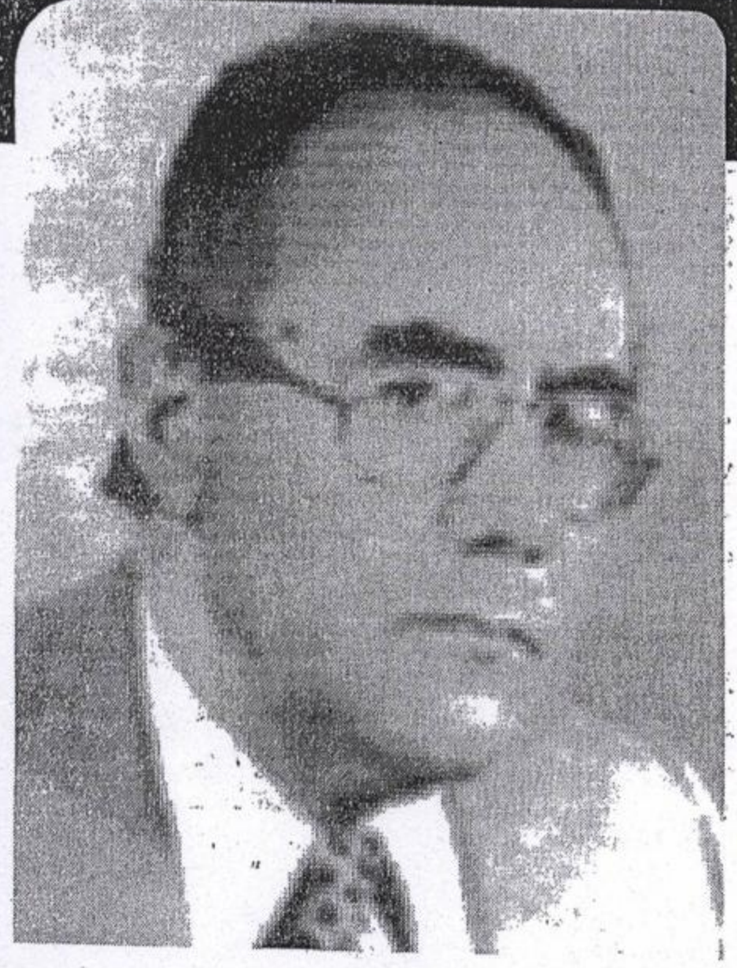

فقد المغرب والعالم العربي والإسلامي، عالما مغربياً كبيراً، وصوفيا متبتلاً، ووطنيا صادقا، هو العلامة الكبير الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله.

اختاره الله إلى جواره ليلة ذكرى ميلاد أفضل الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، كان رحيله ليلة عيد المولد النبوي الشريف مناسبة دالة على روحانية هذا العلم، ومرتبته الصوفية العليا، فاضت روحه ظهيرة يوم السبت 11 ربيع الأول عام 1433هـ الموافق 4 يبراير 2012م، ليصلى عليه ظهريوم الأحد 12ربيع الأول 1433هـ بضريح الولي الصالح سيدي العربي بن السايح بالمدينة العتيقة بالرباط في محفل مهيب، ثم يوارى جثمانه الطاهر بمقبرة الشهداء بنفس المدينة إلى جوارالشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

كانت حياة هذا العالم الكبير، مليئة بالعطاء العلمي الرصين، الذي يمكث في الأرض وينفع الناس، وكان رحمه الله مشاركا في مجالات معرفية متعددة ومتنوعة. ويعتبر الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بحق، مفخرة للمغرب، ورمزاً من رموز تاريخ الثقافة المغربية خلال القرن العشرين وبداية الحادي، ويكفي إلقاء نظرة سريعة على إنتاج هذا العلم، لتتضح قيمة الخدمات الجليلة التي قدمها الراحل للفكرالمغربي المعاصر، على مدى سبعة عقود، بدءاً من سنوات الأربعين من القرن العشرين إلى العقد الأول من القرن الحالي. وقد اغتنت الخزانة المغربية بالدراسات القيمة التي أنجزها العلامة عبد العزيز بنعبد الله، وخاصة في مجال الحضارة المغربية والفكر الإسلامي، مما أسهم في التعريف بأوجه متعددة من ثقافتنا المغربية. ولا يمكن لهذه الورقة أن تحيط بمجمل إنتاج هذا الرجل، فذلك أمريتطلب جهدا جماعيا، وزمنا غير يسير للإنجاز؛ لكن نهدف من خلال هذه العجالة إلى تقديم إشارات عامة تومىء إلى الأبعاد المعرفية التي تحرك داخلها إنتاج الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بمؤلفاته التي تعد بالعشرات، وقد كتب باللغتين: العربية والفرنسية، ومنها ما طبع، وظل الكثيرمنها مخطوطا.

كما تميزت دراسات الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بتشعبها، فقد كتب في التاريخ المغربي العام، والفكرالإسلامي، والفن المعماري، والقضاء المغربي، والفكرالعلمي عند علماء المغرب، والطب والأطباء بالمغرب... لكن تركيزه على الثقافة المغربية، لم يمنعه من الالتفات إلى مجالات دراسية خارج هذه الدائرة، فكتب عن «العلاقات بين المشرق والمغرب»، واهتم بالقضية الفلسطينية بل إنه أسس مجلة تحمل اسم القدس، تصدر باللغة الفرنسية، قصد من ورائها تعريف الآخربشرعية هذه القضية ومركزية القدس داخلها؛ دون أن ننسى أن الراحل من المبدعين المغاربة الأوائل الذين اقتحموا مجال الكتابة القصصية.

وعلى امتداد السنوات التي عاشها العلامة عبد العزيز بنعبد الله، شغل عدة مناصب سامية، واختيرعضوا في العديد من المؤسسات العلمية الأكاديمية، ومن خلال هذه المواقع استطاع العلامة عبدالعزيزبنعبد الله، أن يقدم خدمات جليلة لقضايا إنسانية، وسمحت له هذه المراكزبالتعريف بالحضارة العربية الإسلامية، وفي هذا الباب تحمد جهوده الكبيرة التي بذلها في سبيل خدمة اللغة العربية، خاصة سنوات رئاسته المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ومركزه بمدينة الرباط، حيث أعد وأشرف على إخراج العديد من المعاجم العربية تحيط بمجالات معرفية مختلفة، كمعجم السماكة والأسماك، معجم النبات والزهور، معجم الأطعمة، معجم الحرف والمهن، معجم الألوان، معجم الطيران، وغيرها من المعاجم.

ولمقدرته العلمية وكفاءته الأكاديمية، اختير عضواً في العديد من المجامع العلمية، منها: المجمع العلمي العراقي ببغداد، مجمع اللغة العربية بالأردن، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجمع العلمي الهندي، أكاديمية المملكة المغربية، وغيرها من المؤسسات العلمية والجمعيات العالمية.

ونظرا لهذا الإشعاع العلمي للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، ولاتساع معارفه ونضج خبرته، وجهت إليه دعوات عديدة من جامعات ومؤسسات علمية دولية لإلقاء محاضرات، نذكر منها محاضرته بموسكو سنة 1972 حول «مستقبل لغة القرآن» وأخرى بجامعة «هالي» بألمانيا الشرقية سنة 1972 حول «مستقبل اللغة العربية»، وحاضر في جامعة كراتشي والمعاهد الإسلامية في «لاهور» سنة 1970، وكذا في كلية الشريعة في عمان، والمعهد الإسلامي بيروت، لبنان، ومعهد الدراسات العربية بالقاهرة..... وباعتباره خبيراً دوليا، شارك في العديد من المؤتمرات المهتمة بالقضايا الفكرية والحضارية، نذكر منها مشاركته في مؤتمر «بنوك الكلمة» في كندا ونيويورك وموسكو، ومؤتمر علماء الاجتماع في هامبورغ سنة 1960، ومؤتمر عالمي حول «الإسلام وحقوق الإنسان» ببانكوك بإشراف اليونسكو، ومؤتمر تعريب العلوم في مانشستر سنة 1977، وغيرها من المؤتمرات العالمية كل ذلك يكشف عن تنوع وغنى المسارالعلمي للعلامة عبدالعزيز بنعبد الله.

وهذاالأمريدفعنا إلى التساؤل عن حجم خزانة هذا العلم، وقد أتيح لي ذات مرة، الاطلاع على جانب منها بمنزله رحمة الله. إنها خزانة تجمعت لدى هذا العالم الفذ على مدى عقود من الزمن،ورغبة منه في تحقيق الإفادة، قرر وضعها بين أيدي الباحثين من طلبة وأساتذة الجامعة، فقدمها هدية إلى جمعية رباط الفتح، التي يعتبرالأستاذ عبد العزيز بنعبد الله أحد أعضائها المؤسسين، فخصصت لها جناحا كبيرا داخل مقرها، وفتحتها للمهتمين والباحثين. وهذا عمل جليل، حفظ تراثا علميا قيما من الاندثار، والعبث الذي مس بعض الخزائن الخاصة التي عبثت بها الأرضة، أو ضاع محتواها بشكل من الأشكال.

ونظرا لهذا الشغف العلمي، والخدمة الجليلة التي قدمها هذا العالم الصوفي للثقافة المغربية على مدى عقود من الزمن، فقد حظي منذ السنوات الأولى من مسيرته العلمية بتقديرمولوي سام، تمثل في رسالة ملكية كريمة، حملت جواب الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله، وهوولي العهد يومئذ، في طيه تنويه وشكروتشجيع وإطراء للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله؛ قال حفظه الله: «لقد تلقينا بمزيد السرور نسخة من كتابكم الذي يحمل عنوان: «مظاهر الحضارة المغربية»، فراقنا عندما تصفحناه، ما يطرق من مواضيع في شتى الميادين السياسية والاقتصادية والفنية والدينية والاجتماعية، كما أعجبنا بما أتحف به من صورمن صميم البلاد المغربية، وبالجملة، فقد كان له في نفوسنا الأثرالطيب والمكان المرموق، ونحن إذ نشكركم وافرالشكر، نوجه لكم تشجيعنا، وندعو لكم بالتوفيق والمعونة، ونطلب الله أن يكثرأمثالكم الذين يعتنون بحضارتنا المغربية ويظهرونها للملأ على صورتها الحقيقية. دام النجاح حليفكم، والسلام».

هذه شهادة ملكية تلقاها العلامة الجليل الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله سنة 1958، ونعم الشهادة! رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

د.محمد احميدة
كلية الآداب: جامعة ابن طفيل